

"حماس" الغاضبة لن تفوز



13 مارس 2019 - 08:28

بكر أبو بكر

حالة المراوحة التي تعيشها الساحة الفلسطينية على صعيد العلاقات الداخلية المتوترة تُنبئ بخطر كبير لم يعد أمره خافياً على أحد، فكلما تقدم المشروع الصهيوني الأمريكي الى الأمام كلما حمل المتصارعون الفلسطينيون على تحميل بعضهم البعض مسؤولية الفشل الداخلي، ومسؤولية تمدد المشروع الاستعماري الاحتلالي. حالة المراوحة الفلسطينية التي تمر بين معادلة الاتفاق ثم الضحكات ثم الاحتفال، الى حالة الانفكاك ثم محاولات القتل ثم الردح أصبحت حالة تنبئ عن شيء لم تعهده السياسة الفلسطينية، فإن وراء الأكمة ما وراءها، فليس الموضوع داخلي بحت، وإنما في الأفق تداخلات مصلحة مرعبة من أطراف الاقليم التي ترغب في بقاء الأزمة ودوام الانفصال بين الضفة وغزة.

انتخابات لمرة واحدة

حركة فتح ترى أن الزمن الذي تساهلت فيه، وتركت فيه المساحة ل"حماس" لتعبيء فراغ السلطة في غزة قد ولى، وتعتقد أن الشرعية ممثلة بالقانون وقيادة السلطة يجب أن تنطلق من حقيقة أنها جزء لا يتجزأ من منظمة التحرير الفلسطينية التي أنتجت السلطة بعد اتفاق أوسلو فكانت الرئاسة والحكومة والتشريعي. "حماس" ترى أن الحكم ينبع من قاعدة: انتخابات واحدة وصندوق واحدة وفوز واحد والى الأبد! كما عبرت عن ذلك بعد العام 2006 حين أصبحت الانتخابات مباحة بعد أن كانت تُدان لديها بأشد عبارات التحريم الاسلامي، وكما قال النواطق الرسميين آنذاك ما لحقهم به ما قالته جماعة "الاخوان المسلمين" في مصر، ولم تكتف "حماس" منذ ذلك الوقت بالفوز الديمقراطي بل ألحقته "بفوز عسكري مقيت" خلف جراحا لا تندمل حتى اليوم وخلف نظاما قمعيا في غزة أصبح أسوأ من أي نظام عربي باند، كنا نتغني بتقييحه فيما مضى.

حركة التحرير الوطني الفلسطيني - فتح وضعت إيمانها بالفكر الوطني في العمق العربي في عمق الأمة، وفي متن حضارتنا العربية الاسلامية السمحة في مقدمة تفاعلها مع كل مكونات المجتمع ومع كافة الفصائل، واثبتت ذلك بالتجربة فلم تقابل الطعن أو التكفير أو التخوين من الآخرين أنظمة ومنظمات وأفراد بالمثل.

مفارقة عجيبة والتظيم البستاني

في المفارقة العجيبة الغربية مؤخرا لنا خير شاهد: فحين تقف كل المنظمة (م.ت.ف) وحركة فتح الى جانب "حماس" في الأمم المتحدة لم تكن لتمنّ على "حماس"، وإنما كانت

تقف مع شعبها فتفتح في منع اتهامها بالارهاب، وبدلاً من رد الجميل بالحد الأدنى تقوم دائرة "حماس" بالتشريعي -المنتهية صلاحيته منذ وافق أو صمت عن الانقلاب عام 2007 -تقوم هذه الدائرة بتوجيه رسالة للامم المتحدة تدين الرئيس أبو مازن؟ أي فكر أو تصرف هذا؟ مهما كان حجم الخلاف الداخلي؟ إن لم يكن إمعاناً في الفرقة والانفصال.

حركة "فتح" هي التنظيم البستاني (من البستان) الذي حمى كافة جهات النظر، ووعت حرية التعبير والاختلاف والتعددية رغم ما استخدمه البعض ضدها في الانتفاض على جسد الحركة، في مراحل عديدة طوال أكثر من خمسين عاماً، وكان آخرها ما فعلته "حماس" بانقلابها الأسود، وما تلاه حتى اليوم من إعدامات وقطع الأرجل وإطلاق نار على الأبرياء، وتعذيب في السجون واعتقالات غير قانونية وغير مبررة.

"حماس" تغضب وتنتفض ضد المخالفين السلميين لها في كل مهرجان أو احتفال أو رفع راية تأييد للرئيس أو ضررتها وعدوتها السلطة، وهي أي "حماس" بتصرفها السقيم هذا إنما تؤشر إلى رعب فقدان السطوة والسيطرة على الإمارة الموهومة، لمن هم يظنون امكانية أن ينجحوا في انتزاع هذا الجزء من جسد فلسطين ويخترقون فيه التاريخ فيجعلونه مقدمة "للخلافه على هدي النبوة" وهم قطعاً وهمون حالمون .

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: "إنه يؤسفني أن أقول: إنني كنت إذا صارت بأن "للإخوان" أخطاء وجدت العيون تحمر، والوجوه تثبت، وكأنني كفرت، إنها عصبية عمياء.. إنه لا حرج أبداً من اختلاف وجهات النظر، لكن لا يجوز لصاحب رأي ما أن يحسب نفسه المتحدث الرسمي باسم الله ورسوله، وأن من عده خارجون عن الإسلام، بعيدون عن الحق.. قد تستطيع عصابة من الناس أن تخطف (حكماً) بالاغتيال والتسلف أو بالاحتياط والعسف، بيد أن نسبة هذا الحكم لله حُقم كبير... من حق العقلاء أن يفتوا الدين، وينبذوا تعاليمه يوم يكون الدين مرادفاً لجمود الفكر، وقسوة الطبع، وبلادة العاطفة، ويوم يكون استيلاؤه على زمام الحياة عودة بها إلى الوراثة وتغييراً لفطرة الله.. إنه يومئذ لن يكون ديناً من عند الله، بل أهواء من عند الناس، ولن يكون السير عليه تقوى ومثوبة، بل معصية وعقوبة".

"حماس" الغاضبة بمجملها دوماً تعبر عن غضبها من خلال بعض مراكز القوى فيها التي لم يعد لمثل خالد مشعل أو أبو مرزوق أو الرشق من كادر الخارج أي سيطرة عليها، فهي وكأنها توقعت لتصبح تنظيمًا فلسطينياً غزياً محلياً بحتاً، فتعيت في أرض غزة فسادا إلى الدرجة التي تجد تساوفاً من رئيس المكتب السياسي الجديد في أطوار متعددة.

"حماس" التي تتغنى بالعلاقة الوطيدة مع مصر! وتتكبر أنها ترتدي رداء "الاخوان المسلمين" المنصوص عليه نصاً صريحاً واضحاً في ميثاقها، وفي قسم التزامها "بالاخوان المسلمين" هي "حماس" التي ترى أن حلفاءها الفاشلين من "الاخوان المسلمين" في مصر وراء القضبان، فتصمت عنهم! ربما لأنها تأخذ العبرة، فتعلن دوماً غرامها بمصر!

فيما هي تناقض ذاتها وتعلن اللعنة المكرورة ضد بني جلدتها في مفارقات تحتاج لمنجّم ليفهمها.

لا للاقصاء المتبادل، وفكر خالد مشعل

كيف نفهم التقلبات في مسيرة "حماس" التي ما نشأت إلا لمناوئة منظمة التحرير الفلسطينية "الكافرة العلمانية الملعونة"! ولحاق بها بعد سنوات موات وشباب ازرققت فيها عيون "الاخوان المسلمين" الفلسطينيين من لكلمات الناس يعيرونها بالعودة دوناً عن أبطال العمليات الفدائية الذين كانوا يموتون "قضايا" وليس شهداء وفق نظرة الاسلاميين المهينة.

قد لا نفهم مبررات الغضب؟ ولكن كيف لنا أن نضع يدنا مع فصيل لا يجد غضاضة أن ينقض من الاتفاقيات مثنى وثلاث ورباع! فتجد لغة التناقض والتضاد الحدي بين حركة "فتح" وحركة "حماس" تلك اللغة التي لا أفهما حين يتم تبادل فكر الاقصاء، وكأن الطرفين -او تيارات فيهما- قد أقسما بعزم على الافتراق فيما لا يجوز من أبعاض حركة فتح، وفيما هو أصيل في التعبئة الداخلية في "الاخوان المسلمين" حيث نظرية المظلومية تقابلها نظرية أهل الكفر والايمان! وان الله ناصر عباده المؤمنين، أي هم دوناً عن المسلمين، ولو طال الزمن، وأن "التمكين" لهم كما هو حاصل في غزة بأمر رباني لا يجوز افلات عنان حصانه أبداً.

إن التقلبات في مسيرة فصيل "حماس" من التطرف والتشدد الكلي البغيض بمعنى سعيها الحثيث لوراثة الكفار والعلمانيين والمنافقين "الممثلين في منظمة التحرير الفلسطينية قد يراها البعض مفهومة ضمن عقلية الأقوال والصناديق، فيما قبل سطوع شمس التنوير في أذهان البعض من متقفي الجماعة وفي "حماس".

التشدد في المقابل غير مفهوم مطلقاً في رفض الآخر حين يكون العدو صريحاً واضحاً بلا لبس، وهو لدينا في حركة "فتح" العدو الصهيوني الذي يحتل أرضنا وشعبنا وسماءنا وبحرنا وقدسنا الخ، فلا تستطيع "حماس" الرسمية أن تقتدي بالشيخ الغنوشي في تونس، رغم محاولة خالد مشعل الهامة في وثيقة 2017 والتي كتبت أنا فيها مديحا يستحقه قائلها، ويستحق أكثر على مقدمته الفلسفية والفكرية الجميلة، والتي ظننت حينها أن أنوار الحقيقة والواقعية السياسية قد طغنت في "حماس" على ظلامية التعبئة الداخلية المرعبة، والتي للأسف بدا أنها -أي الظلامية- مازالت قائمة حتى الآن.

بين "الأيدولوجية" والانتهازية

إن التقلبات في مسيرة "حماس" كان من الممكن النظر لها من المنطلق الانتهازي فهي تنظيم فكري (أيدولوجي) جوهرية الفكرة لا يتخلى عنها، بمعنى أن ما يستخدمه من تكتيكات أو مواقف متذبذبة أو مناورات مع الآخرين إنما يأتي في ظل وحدة ووضوح الهدف وهو "التمكين" ل"حماس"، وليس الشراكة التي يدعون لها نظرياً.

وقد يرى البعض وأنا منهم أن تقلبات "حماس" من التشدد والتعصب المقيت إلى حد التكفير والتخوين والتشهير، وظهور نور الحقيقة في عقل كوكبة من متقفيها هي ما

لا يجب أن نغفله.

في كل مجتمع أو جماعة أو تنظيم ترى السواد وترى البياض، وحتى مع الخلطة فالفجر قادم، بمعنى أن منطق التذبذب قد يكون هو منطق تغيير حقيقي في حماس التي كان قد قفز الى قلبها مع خالد مشعل عام 2017 لكنه أطفئ بكلمة واحدة قالها أبو مرزوق في حوار موسكو عام 2019 حين قال: أننا مزقنا وثيقة مشعل؟ لا يجب أن يمل المتابعون لمسيرة الفصائل وعلى رأسها حركة "فتح" و"الشعبية" و"الديمقراطية" و"الجهاد" و"حماس" من النظر الى الصورة الكلية فلا قضية ولا مسيرة ولا فعل ناجز دون تفاعل هذا المجموع على اختلافاته التي يجب فهمها من زاوية التعددية والإثراء، حتى مع من يسمونها التنظيمات المجهريّة تهكّمًا، وما هي كذلك وإنما هي تعبيرات وطنية فلسطينية يجب أن تحظى بالاحترام والمحبة، مهما كان حجم الاختلاف بيّنًا أو يسيرًا، فما لي أنا والنظر من زاوية الحجم، فلربما رأي قادم أفضل من فعل جماعة ظليمة الوجه خارجية الفعل تشهر المقدس في وجه الآخرين فتقتلهم وتريق دمهم بالفتوى أو بالألسنة الحداد أو بالطلقات السريعة. ألم يحصل ذلك!

"حماس" المتقلبة أو المتذبذبة هي "حماس" المتغيرة بعنفها أو صراعاها الداخلي والخارجي، وأي تنظيم يجمد ويتكلس عند حدود فهمه الأول فهو يجعل عقله في صندوق مغلق لا يفتحه، على فرضية صحة ما يشتمل عليه، والدنيا من حول الصندوق تتغير.

فعندما يأتي أوان فتح صندوق الأفكار لا يستطيع مالك المفتاح استيعاب الأحداث والمتغيرات، فإما انه يتوه ويتخبط، ويلجأ الى التجريبية دون اعتبار، أو أنه يتمسك بالقديم البالي يبخله ويحله ويقدمه، أو ينفص الغبار عن مقولاته الجاهزة وشعاراته العاطفية في محاولة لإظهارها طاهرة نقية مقدسة كما هو شأن أصحاب الفكر الماضوي في أي تنظيم ديني أو فكري (أيديولوجي)، ولا تظنوا هنا أنني أقصر بحديث الماضوية على "حماس" بل ينطبق على كل الفصائل وعلى رأسها حركة "فتح" التي إن تحولت لنعام، فإن صندوق أفكارها يكون مدفونًا تحت التراب.

التنسيق الأمني لدى "حماس"، والكتفان المثقلان

إن فهمنا التقلبات بمعنى التخبط فإن السبب يكون في وجود التيارات المتعارضة، وأنت لا بد تجد هنا تعارض المصالح الحزبية بل والشخصية مع المصلحة العامة، وتجد أيضا تدخلات لأنظمة في الإقليم تسهم بقوة بذلك، ولا تعتقد أن العدو الصهيوني ببعيد مطلقا عن مثل ذلك بل هو في أنون معركة المحاور في كل الفصائل وخاصة "حماس" التي رهنهت مسيرات العودة لملايين قطر القادمة بأوامر "تنتياهو" أبو العصا والجزرة أي مقابل توقف الإزعاج الليلي من غزة.

بمعنى أن الاسرائيلي استطاع شراء الهدوء بثمن بخس يدفعه الآخرون، فجعل من التنسيق الأمني مع "حماس" عبر قطر منهج عمل مفاده التالي: تتظاهرون بخفة فتأخذون الاموال، وتتظاهرون بقسوة فتمنع عنكم الاموال!

هذا وغني عن القول أن ذكر "العودة" كأساس لهذه المسيرات الهامة قد أصبح مجرد نكزي! وتم استبداله بوحشية بمطالب معيشية بحتة وليس بسياق وطني عام. "حماس" التي كانت تدعي أنها تضع على كتفها الأيمن القرآن الكريم على افتراض باطل أنها الممثل الشرعي لله على الأرض، حاشاه، وضعت -منذ فترة قصيرة من التاريخ الحديث- البندقية على كتفها الأيسر، ومع متغيرات الاقليم وصعود "الريانيين" لكرسي السلطة سقط المصحف عن الكتف الأيمن، وأصبح نسيا منسياً تماما كما قال الوليد بن عبد الملك للمصحف بين يديه -كما يروي بالتاريخ- عندما وصلته الخلافة بعد موت أبيه، قال للمصحف: هذا آخر عهدي بك؟ وأغلقه وقام ليجلس على كرسي السلطان. عدد من الشخصيات أو مراكز القوى في فصيل "حماس" حين تتقاتل فهي لا تتقاتل على المصحف، فكلنا والحمد لله مسلمون، بل تتقاتل أن تحوز رضى الداعم من جهة، وتتقاتل من أجل زيادة مساحة النفوذ في غزة، وعلى رقاب الناس وأموالها، مع ما يمثله ذلك من هيلمان وخفة عقل ونزق هو خلّب يظنونه ذهبًا وهم لأخرتهم كما دنياهم خاسرون، ولا أبريء رجال السلطة الفاسدين في أي جهة من هذا الوباء أبدا.

إذن لم يعد يقتنع أحد البتة حتى الطفل في بلادنا بتلك العلاقة المتبورة مع الدين التي حاولت غالب التنظيمات الاسلامية أن تنسبها لذاتها دونًا عن كل المجتمع المسلم. أما البندقية على كتف "حماس" الأيسر فحدثت ولا حرج حين سألت منها الرصاصات بدماء أبناء الشعب، ولا نريد أن نعيد ونكرر مهزلة "الحسم العسكري" وذهبوا وانتم الطلقاء، ما لا يُقال لنا أبدا.

حركة فتح المهانة وتجاوز حماس!

لم أفهم ألا تغضب حركة "فتح" حين تهان يوميا بفكرها وتنظيمها ورئيسها وقيادتها وكوادرها من قبل بعض أقطاب في "حماس"، ومليشياتها غير الشرعية بشكل يخرج خروجًا فظًا عن آداب الحوار أو النقد!

ولكم في مئات الرسائل والتصريحات والاعتقالات ما لا يخفي من ذلك، ما يضع غضب "حماس" من أفواها الملمّعة بالاتهامات في بوتقة السد المانع للوحدة الوطنية.

فكيف لي أنا المشتوم والمتهم دوما -أفعلت صوابًا ام فعلت خطأ- أن أقترب منك أنت الشتام الصحّاب الأشر؟ إنها لمعادلة غير عادلة مطلقًا.

قد تغضب "حماس" حين يتم تجاوزها -كما ترى- في مراحل معينة أو أطر معينة أو مواقف معينة- فيتم تفهم ذلك أحيانًا- وتدعو للمشاركة ما هو مطلب حق يراد به باطل، كما كان الحال من الخوارج على الرسول صلى الله عليه وسلم من (ذي الخويصرة) ثم على علي بن أبي طالب من عبدالله بن وهب الراسبي وزمرته.

فمن قال أن الشراكة تُفرض باقتسام الحكم أو باقتسام الأرض والبلد!

ومن قال أن الشراكة تأتي بمنع الانتخابات حتى في الجامعات في غزة؟
ومن قال أن الشراكة تتم بفتح السجون لكل فم يقول لا! على قاعدة الاختلاف السياسي!
ومن قال أن المشاركة تأتي بالانصياع لأوامر هذا البلد الممول أُوذاك؟
ومن قال أن فهم الشراكة يعني إضمار حيازة السلطة بمنطق التمكين الألهي الموهوم الى الأبد؟
ومن قال أن الشراكة تُفهم ضمن معادلة الكفر والايمان التي مازالت قائمة في قلب "حماس" الأسود المرعب؟ أقصد في صلب تعبئتها الداخلية التي طالب خالد مشعل ذاته من الدوحة مشكورا بتغييرها حين طالب بتدريس وثيقة "حماس" التغييرية التي أعلنها.
مبررات الغضب عند "حماس" ترتبط بالحكم فقط، فليس لله سبحانه وتعالى فيها أي دور، فكل مسؤول عن أفعاله، فلا يحاول أحد أن يكذب على ضميره وعلى الناس بل وعلى الله سبحانه وتعالى فيصوّر الخصومة السياسية أو المعركة معركة كفر وإيمان، أو مقاومة مقابل خيانة، وإن كان كما قلنا أن هناك الكثير من يراها كذلك! وهو بذلك واهم وكاذب ومخادع لذاته وللناس بل وحاقد .
إن ما بيننا وبينهم أي بين حركة "فتح" وطبيعة الخلافات -مع أي كان- داخليا بالحركة، وخارجيا في السياق الوطني هو خصومة أو معركة سياسية تجاوزت عند البعض من الحدود الكثير، وإن كان من مبررات الغضب الذي تعلق لدى بعض مراكز القوى في "حماس" خاصة مُنتج أو سلو الأصيل والمفضل لدى "حماس" أي دائرة تشريعي "حماس" مبررا من وجهة نظرها!
الغضب هل يكون عادلا؟
إن كم الحقد والبغضاء والاتهام المصوب في قوالب ما تسميه دائرة تشريعي "حماس" قراراتها ينم عن عقيدة إقصائية خطيرة جدا، أجازت الانقلاب والقتل كما أجازت الشتم والتخوين والتكفير، وهي عقيدة لا تؤسس مطلقا لشراكة يتم التغني بالدعوة لها أحيانا، أو تداول للسلطة، تلك التي يتم قصفها بالاهانات ومحاولات الاغتيال المتكررة، والمقصودة في فصل الربيع خاصة! أي في ربيع 2018 وربيع 2019 عندما تعرض رئيس الوزراء ومدير المخابرات، ثم قائد فتح بغزة لمحاولات الاغتيال المدبرة.
غضب حركة "فتح" من "حماس" له ما يبرره وغضب "حماس" من "فتح" له ما يبرره، لو وضعت الموازين العادلة لتحكم، فلنا في حركة "فتح" من الأخطاء الكثير، ولا نخاف أبدا أن نضع الأصبع على الجرح وهذا دأبنا، ففي الكثير من المحطات كان لنا من السقطات التي جهدنا على تجاوزها وربما لم ننجح، و ما كان من المؤمل أن يكون مثله من نقد وتجاوز لدى مراكز القوى في "حماس" فلا تعود تحمل على كتفيها الأيمن والأيسر الا الهَمّ الوطني فقط دون أي استهبال لامكانية حمل المصحف والبنندقية حصريا حصرا مانعا الآخرين عن الوصول لأيهما.
إن الغاضب ما لم يكظم غيظه لن ينجو، والغاضب لذاته ونفوذه وسطوته ونزقه وليس للمصلحة الوطنية التي هي جزء من مسببات الوصول لرضا الخالق هو أبدا لا يستطيع العفو والغفران، ولن يكون أبدا بتسامح ومحبة وعطاء الإمام الكاظم رضي الله عنه، فالله سبحانه وتعالى أبدا "يحب المحسنين".